

المقدم

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

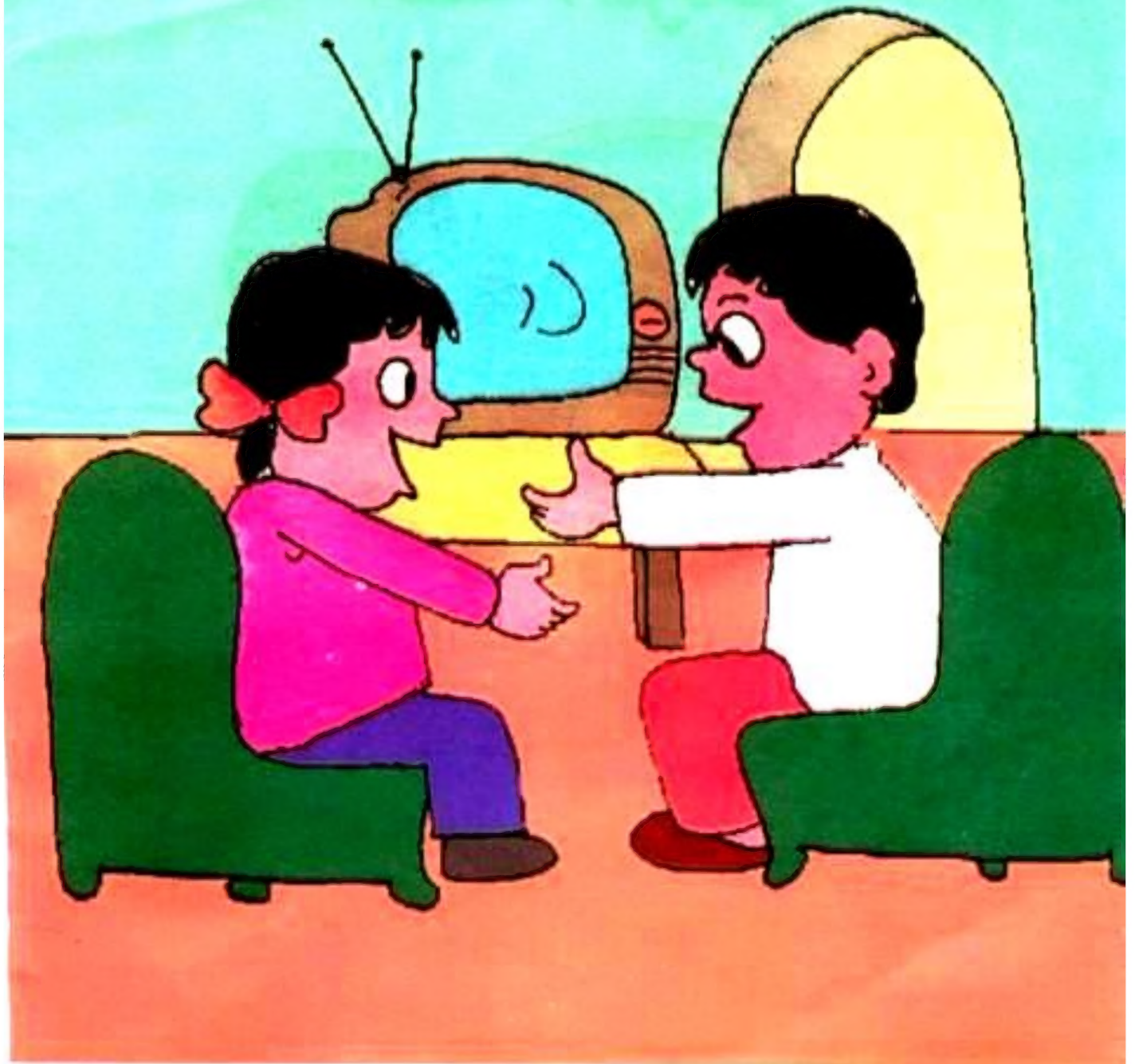
آلة الزمن



بقلم: د. محمد بن شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كائنات - الجيزة

(١) جلسَ أحمدُ يُناقِشُ شقيقته في الفيلم الذي شاهداه عن
الخيال العلمي ، والذي يحكي أبطاله عن امتلاكهم عجلة
الزمن ، التي اخترعوها ، ومن خلالها يتقدم الزمن بهم أو
يتأخر . . وكان النقاشُ حاميًا بين أحمد وحنان ، حول تقدم
الزمن وتأخره .



(٢) سَمِعَ الْوَالِدُ النَّقَاشَ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنْ سَبَبِ
اِخْتِلَافِهِمَا ، فَأَخْبَرَاهُ وَكُلُّ مِنْهُمَا يَتَسَابَقُ لِشَرْحِ رُؤْيَيْهِ ،
فَأَشَارَ لَهُمَا بِالْهُدُوءِ ، ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَهُمَا وَقَالَ : إِنَّ مَا رَأَيْتُمَا
هُوَ خَيَالٌ وَأَحْلَامٌ لَنْ تَتَحَقَّقَ أَبَدًا لِأَنَّ الْمَقْدَمَ . . وَالْمُؤَخَّرَ هُوَ
اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
وَحْدَهُ ، لَا غَيْرُهُ أَبَدًا .



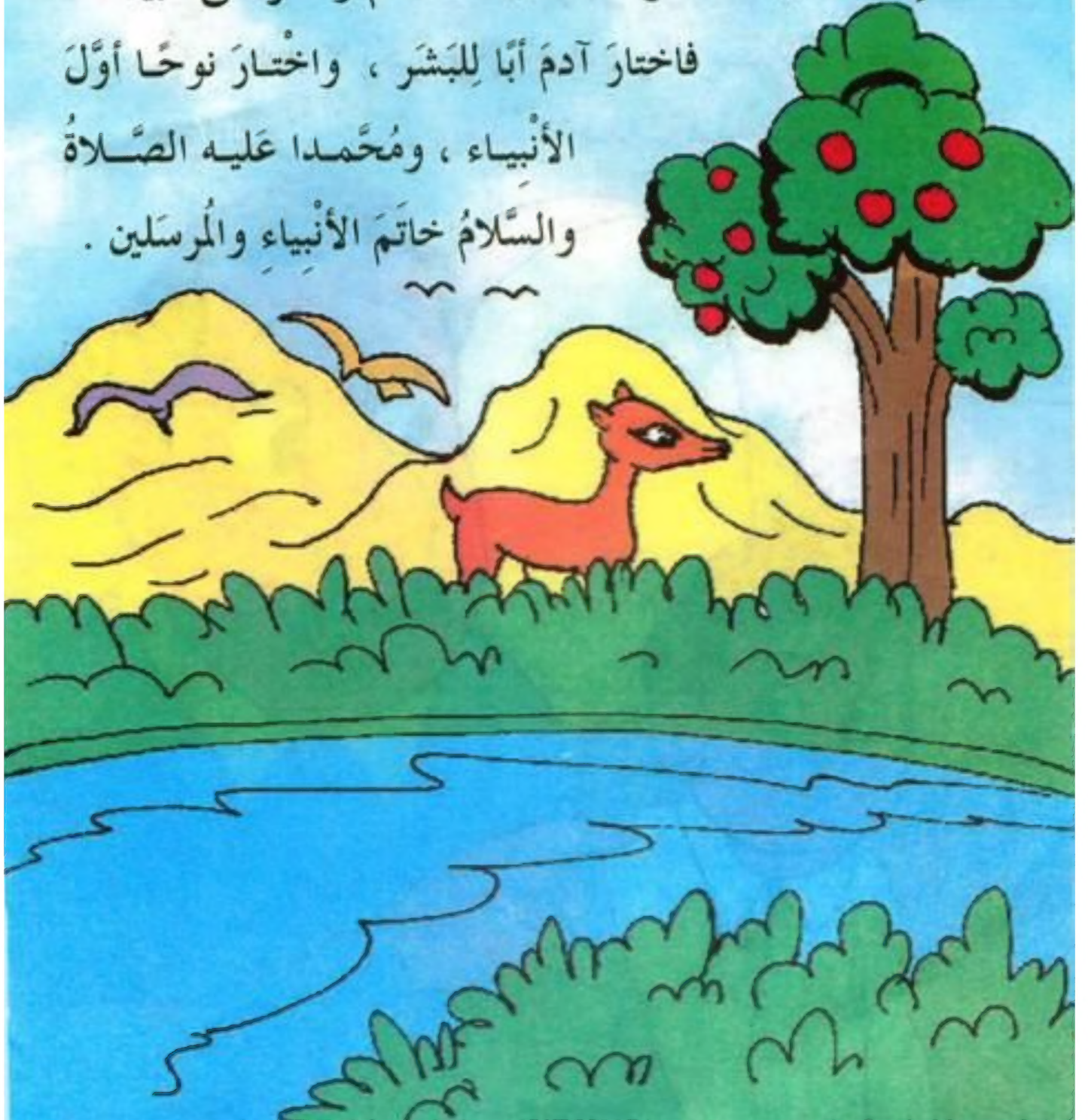
(٣) إِنَّ أَفْلَامَ الْغَرْبِ يَا أَبْنَائِي ، تُصَوِّرُ أَحْيَانًا أَشْيَاءَ لَا
وُجُودَ لَهَا إِلَّا فِي خَيَالِهِمْ وَأَحْلَامِهِمْ ، وَلَا يَصِلُ إِنْسَانٌ مِنْ
عِلْمٍ إِلَيْهَا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . . وَالْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ
اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى ، لَنْ يُطْلَقَا عَلَى غَيْرِهِ أَبَدًا . .
فَقَالَتْ حَنَانُ : اشرحْ لَنَا يَا وَالِدِي مَعْنَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ .



(٤) قال الوالد : سأشرحُ لكما الآن اسمَ المُقدِّم ، وغداً إن شاء الله اسمَ المؤخِّر . . ومن معانى اسمِ المُقدِّم ، أنَّ الحقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الزَّمنِ ، فَالزَّمنُ لَا يَمْلِكُهُ الْإِنْسَانُ . وَإِنَّمَا الزَّمنُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ . وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ فَرْدٍ مِنَّا أَنْ يَوْقِفَ الزَّمنَ مِنْ حَيَاتِهِ ، بِمَعْنَى أَنْ يَبْقَى شَابًّا أَوْ طِفْلاً لَا يَكْبُرُ طَوَالَ حَيَاتِهِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي خَلَقَ الزَّمنَ ، يُرَتَّبُ وَيُقَدِّمُ الْأَحْدَاثَ لِهَذَا الْكَوْنِ ، مِنْ بَدَايَةِ الْخَلْقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .



(٥) ومن معاني المُقدِّم ، أن الحقَّ سُبْحانَهُ وتعالى اختارَ
الكونَ قبلَ أن يخلُقَ الإنسانَ ، ليأتيَ الإنسانُ ويَجِدَ كَوْنًا
مُعَدًّا ، فيه كلُّ ما يحفظُ حَيَاتَهُ ، ومَلَأَهُ اللهُ بِالنَّعَمِ وجَعَلَ
الإنسانَ سَيِّدًا لَهُ ، وَاللهُ سُبْحانَهُ قَدَّمَ وأخَّرَ في أنبيائه ،
فاختارَ آدمَ أبًا للبشرِ ، واختارَ نوحًا أولَ
الأنبياء ، ومُحمَّدًا عليه الصَّلَاةُ
والسَّلَامُ خاتمَ الأنبياءِ والمرسلين .



(٦) سَأَلَ الْوَالِدُ أَحْمَدَ وَحَنَانَ ، قَالَ : هَلْ سَمِعْتُمَا عَنْ
قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ ؟ أَوْ عَنْ قِصَّةِ عُزَيْرٍ ؟ فَنَظَرَ كُلُّ مَنِهْمَا
إِلَى الْآخَرِ ، ثُمَّ هَزَّأَ رَأْسَيْهِمَا بِالْأَنفَى . فَقَالَ : سَأَحْكِي لَكُمَا
الْآنَ إِحْدَاهُمَا . فَقَالَا : لَيْتَكَ يَا وَالِدِي تَحْكِي لَنَا عَنْ عُزَيْرٍ ،
فَيَبْدُو أَنَّهَا قِصَّةٌ مُشَوِّقَةٌ .



(٧) خَرَجَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عُزَيْرٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ قَرْيَتِهِ
يَوْمًا رَاكِبًا حِمَارَهُ ، فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَدِيقَتِهِ الَّتِي تَبْعُدُ عَنْ
الْقَرْيَةِ قَلِيلًا . . وَهَذَا كَاطْتَشَفَ أَنَّ أَشْجَارَهَا عَطَشَى ،
وَأَرْضَهَا مُشَقَّقَةٌ وَجَافَّةٌ . . فَرَوَاهَا بِالمَاءِ ، ثُمَّ قَطَعَ بَعْضَ
الثَّمَارِ مِنَ التَّيْنِ وَالْعِنَبِ ، وَوَضَعَهَا فِي سَلَّةٍ .



(٨) وفي أثناء عَوْدَتِهِ ، كان الحَرُّ شَدِيدًا ، فتَوَقَّفَ عندَ شَجَرَةٍ تُطَلُّ على مَقْبَرَةٍ مَهْجُورَةٍ ، فترَجَّلَ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلًا وَيُريحَ الحِمَارَ . . . نظرَ عُزَيْرٌ إلى المَقَابِرِ المُخَرَّبَةِ ، وكانتْ لِقَرْيَةٍ قَدِيمَةٍ . . . فجلسَ يَتَنَاولُ طَعَامَهُ مِنَ الخُبْزِ والعِنَبِ ، وهو يَتَأَمَّلُ المنْظَرَ الَّذِي حَوْلَهُ .



(٩) كَانَ الصَّمْتُ يُعَشِّشُ فِي الْمَكَانِ ، وَهُوَ يَرَى عِظَامَ
الْمَوْتَى مُتَنَاثِرَةً هُنَا وَهُنَاكَ ، فَسَأَلَ نَفْسَهُ « أُنَى يُحْيِي هَذِهِ
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا » تَسَاءَلَ غُزَيْرٌ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ هَذِهِ الْعِظَامَ
بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ لَمْ يَكُنْ غُزَيْرٌ يَشْكُ أَنَّ اللَّهَ سَيُحْيِي الْمَوْتَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ . . إِنَّمَا قَالَهَا تَعَجُّبًا وَدَهْشَةً ، وَهُوَ يَرَى تِلْكَ الْعِظَامَ .



(١٠) لم يَكْذُ عَزِيزٌ يَقُولُ ذَلِكَ ، حَتَّى أَمَاتَهُ اللَّهُ فِي مَكَانِهِ ،
وَأَمَاتَ حِمَارَهُ أَيْضًا بِجَوَارِهِ وَفِي مَكَانِهِ . . فَلَمَّا اسْتَبْطَأَ أَهْلُ
الْقَرْيَةِ عَزِيزًا ، خَرَجُوا يَنْحَثُونَ عَنْهُ فِي حَدِيقَتِهِ ، فَلَمْ
يَجِدُوهُ ، وَلَمْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ . وَكَانُوا يَمْرُونَ بِطَرِيقِ الْمَقَابِرِ
فَلَمْ يَرَوْهُ . . وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَأَيَّامٌ حَتَّى يَسَّ أَهْلُهُ وَأَهْلُ قَرْيَتِهِ
مِنْ عَوْدَتِهِ .



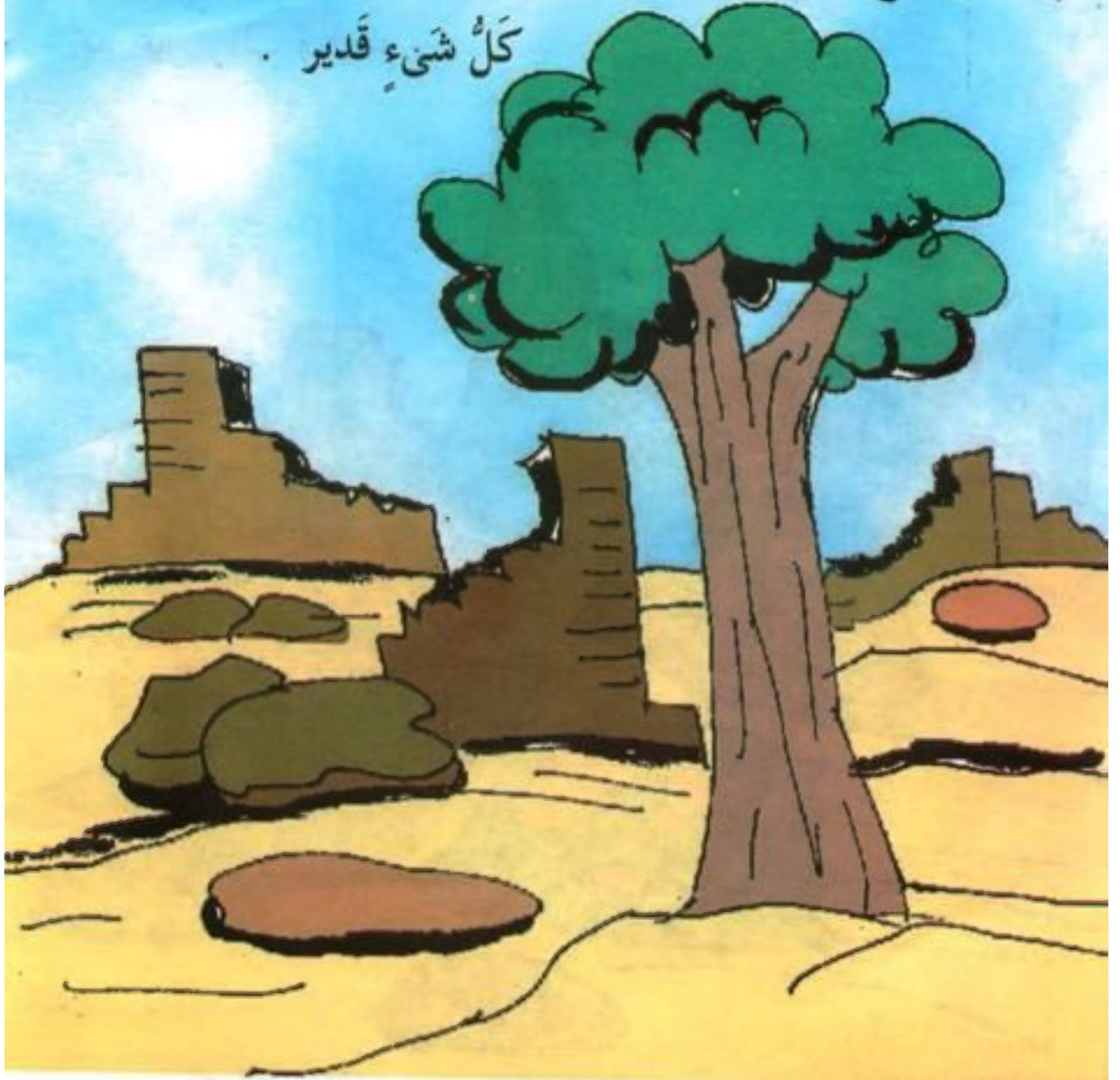
(١١) ومَرَّتِ السَّنَوَاتُ ، وَنَسِيَ النَّاسُ عُزَيْرًا ، حَتَّى مَرَّتْ
مِائَةُ عَامٍ ، وَشَاءَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَسْتَيْقِظَ عُزَيْرٌ ،
فَتَحَوَّلَ مِنْ تُرَابٍ إِلَى عِظَامٍ ثُمَّ كَسَاهُ بِاللَّحْمِ وَالْجِلْدِ ، لِيَنْهَضَ
جَالِسًا فِي مَكَانِهِ ، فَتَذَكَّرَ أَنَّهُ كَانَ عَائِدًا مِنَ الْحَدِيقَةِ فَنَامَ هُنَا ،
فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ وَكَانَتْ تَمِيلُ إِلَى الْغُرُوبِ فَتَذَكَّرَ أَنَّهُ جَاءَ
هَذَا الْمَكَانَ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ . . فَرَكَ عَيْنَيْهِ . . فَسَأَلَ اللَّهَ
- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : كَمْ لَبِثْتُ ؟
قَالَ عُزَيْرٌ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ؟



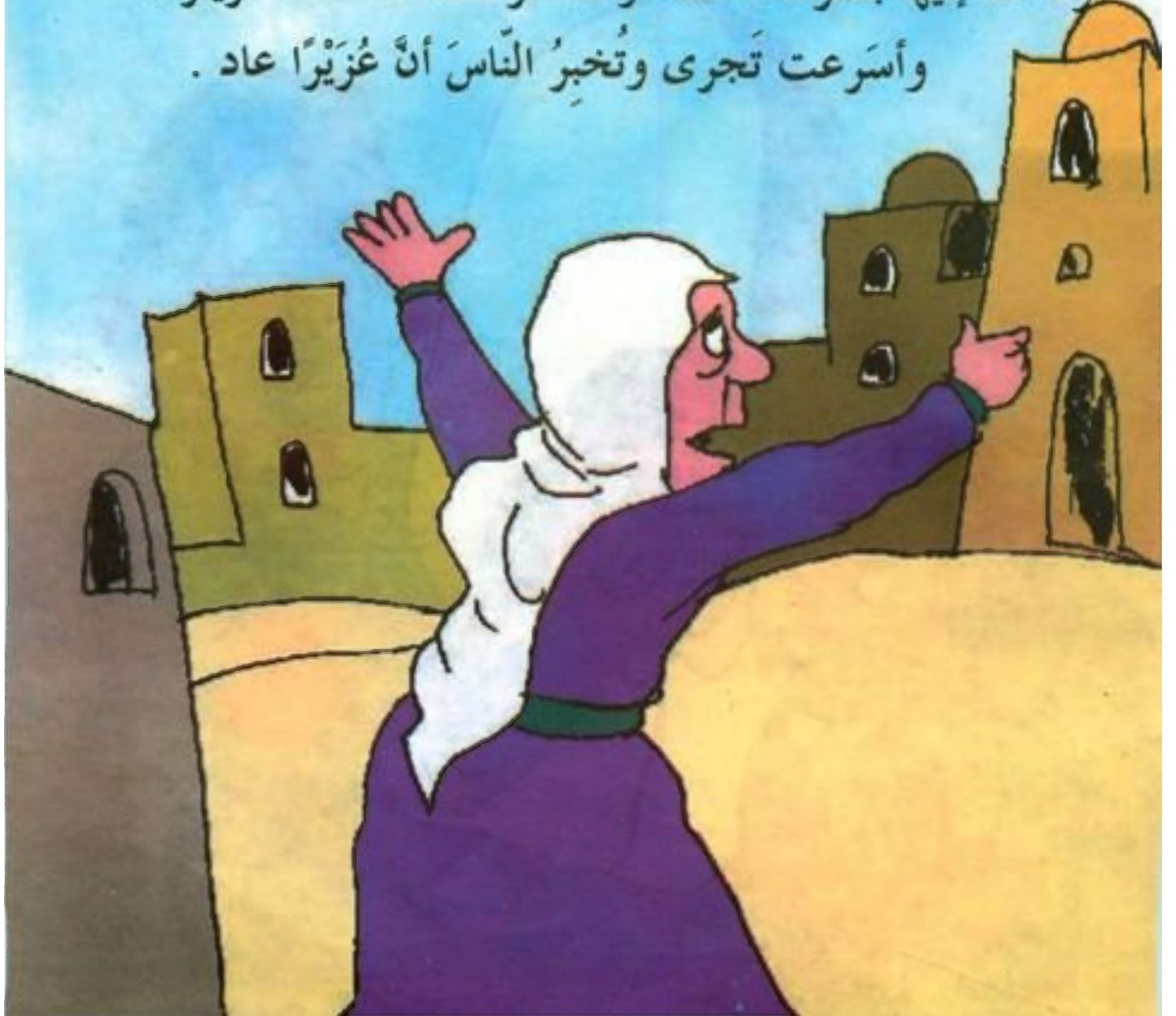
(١٢) قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ، فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَغَيَّرْ . . . نَظَرَ غُزَيْرٌ فِي دَهْشَةٍ إِلَى التِّينِ وَالْعِنَبِ وَالْخُبْزِ فَوَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ . . . سَأَلَ نَفْسَهُ : كَيْفَ ثَمَرُ مِائَةِ عَامٍ وَالطَّعَامُ كَمَا هُوَ طَارِجٌ ؟ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : وَانْظُرْ إِلَى هَمَارِكَ . وَنَظَرَ غُزَيْرٌ فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ تُرَابٍ وَعِظَامٍ .



(١٣) وبأمرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، تَكُونَتْ عِظَامُ الْحِمَارِ
بِسُرْعَةٍ . وَرَاحَ اللَّحْمُ يَكْسُو الْعِظَامَ ، وَغُزِيرٌ يَرَى ذَلِكَ
بَعَيْنَيْهِ ، ثُمَّ الْجِلْدُ يَكْسُو اللَّحْمَ الْعِظَامَ ، فَتَكُونُ شَكْلُ
الْحِمَارِ ، وَيَأْذَنُ اللَّهُ عَادَتِ رُوحُ الْحِمَارِ إِلَيْهِ ، فَنَهَضَ وَاقِفًا ،
وَرَاحَ يَنْهَقُ وَيَهْزُ ذَيْلَهُ . فَقَالَ غُزِيرٌ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .



(١٤) رَكِبَ غُزَيْرٌ حِمَارَهُ ، وَعَادَ إِلَى قَرْيَتِهِ . . فَلَمَّا دَخَلَ
الْقَرْيَةَ وَجَدَهَا تَغَيَّرَتْ فَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدًا ، حَتَّى عَثَرَ عَلَى
خَادِمَتِهِ الَّتِي تَرَكَهَا فِي الْعِشْرِينَ فَأَصْبَحَ عَمَرُهَا الْآنَ ١٢٠
عَامًا ، فَسَأَلَهَا عَنْ غُزَيْرٍ ، فَقَالَتْ بَاكِئَةً : خَرَجَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ
وَلَمْ يَعُدْ . . فَعَرَفَهَا بِنَفْسِهِ . فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ وَهِيَ لَا تُصَدِّقُهُ :
ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَرُدَّ بَصْرِي لِأُرَآكَ . وَدَعَا غُزَيْرٌ أَنْ تُبْصَرَ ،
فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهَا بَصَرَهَا ، فَلَمَّا رَأَتْهُ عَرَفَتْ أَنَّهُ حَقًّا غُزَيْرٌ ،
وَأَسْرَعَتْ تَجْرِي وَتُخَبِّرُ النَّاسَ أَنَّ غُزَيْرًا عَادَ .



(١٥) هَكَذَا يَا أَبْنَائِي فَإِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الَّذِي يُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ ،
لَا أَحَدَ سِوَاهُ . . إِنَّ اسْمَ الْمُقَدِّمِ هُوَ الَّذِي يُعْطَى مَعْنَى لِلزَّمَنِ ،
فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَوْ لَمْ يُقَدِّمْ أَشْيَاءَ عَلَى أَشْيَاءَ ، مَا
عَرَفْنَا لِلزَّمَنِ مَعْنَى ، وَلَا عَرَفْنَا لِلزَّمَنِ قِيَاسًا .

